على الشاطئ المجهول

للاستاذ أحمد شاهين

قال الزاهد الرحالة أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الخواص ..

... في يوم جميل صفت سماؤه واعتدل هواؤه ركبت البحر في لفيف من الصوفية نريد بعض البلاد الإسلامية التي انتهى إلينا من أخبارها ما حبب إلينا السفر إليها وزيارة العارفين وأهل العلم فيها؛ أولئك الذين فرقهم الله في الأرض كما فرق النجوم في السماء للنور والهداية . ودلالة الخلق على الخالق؛ ونحن في التماس النور عند هؤلاء بالتنقل والأسفار أشبه بالتجار بيد أن بضاعتنا لا تكون من زهرة الدنيا ومتاعها بل هي من زاد الآخرة وكفى والسفر عندنا بعض أساليبنا الصوفية في رياضة النفس المؤمنة على الرضا بالقدر وقبول الحياة الدنيا في مختلف أشكالها وأحوالها، ومن سنن الحياة الثابتة أنها لا تثبت على حال؛ وقد لا يشق على النفس إذا اعتادت التحول عن مكان إلى آخر ومفارقة الأهل والأحباب وما ألفت من العوائد والمشاهد أن تتحول مع الحياة على الحلو والمر؛ وأن تصبر لصروف الدهر فلا يغرب عنها سوابها أو يضل ضلالها إذا جرت عليها الأحداث والمكاره... بلى... وإن من سنن هذه الحياة أن لا تستقيم للاحياء على الأرض إلا بنور من السماء، فإذا ما حادت منهم جماعة عن ذلك النور السماوي تناولتها سنة بقاء الأصلح بالمحو والانقراض فلم تبق منها إلا آثارها لتحدث أخبارها لأمثالنا من السائحين في الأرض للنظر والمعرفة والاعتبار.

... وسارت بنا السفينة باسم الله مجريها ومرساها في جو صحو وماء رقراق، وذهب قرص الشمس يتهادى بجوارها على صفحة الماء الفضية التي رفت عليها أشعة الأصيل فتماوجت بألوان كبريق الذهب والفضة وراح الشاطئ الأخضر يتباعد رويدا رويدا حتى اختفى وأمسينا بين الأزرقين... البحر والسماء، ثم أقبل الليل فتوارى عنا قرص الشمس كأنما خر عن الأفق القاني إلى أعماق المحيط، وما أروع الطبيعة إذا خلعت بياض النهار وغشيها الليل بظلامه المطبق وصمته الرهيب .

.. قال أبو إسحاق ... وفي روعة الجلال الساقر ومظاهر الإبداع الباهر وجمال الطبيعة الساحر نسينا نفوسنا وحلقت أرواحنا في ملكوت السموات والأرض، وغنى الملاحون حبورا بهذا الجو الجميل وتعالت أصواتنا بالتهليل والتكبير والثناء على رب هذا الكون العظيم فإنما الطبيعة لدينا محراب كبير تتجلى فيه مظاهر القدرة الأزلية في شتى المرائي والصور، فلا تكون نظرات العارف في مشاهد الطبيعة إلا كتأملاته في سور القرآن. والطبيعة كتاب الله المنشور والقرآن كتابه المسطور، وكلاهما تعبير عن وجود الله وكماله، بيد أن التعبير هنا بالآيات والسور المحكمة، وهناك بالمناظر والصور المجسمة؛ ومن ثم نجد القرآن كثيرا ما يحيل العقل في فهم معانيه وتحقيق براهينه على كتاب الطبيعة الخالد .

... قال وإنا لكذلك في نشوة وتأمل، وخشوع وتبتل، وقد فاتنا أن البحر أشبه ما في الحياة بالحياة فما ينفك يتلون ويتبدل وتتعاقب عليه المكاره والأهوال، ودوام الحال فيه من المحال، إذا بالسماء الصافية وقد غارت نجومها وتلبدت غيومها، وإذا بالريح الرخاء تهب علينا عاتية هوجاء، فهاج البحر وماج، وعج العجاج وتلاطمت من حولنا الأمواج وترنحت الفلك وجعلت الأعاصير

قلبي ذكي، وعقلي غير ذي دخل
وفي فمي صارم كالسيف مأثور

والواقع أن هذين البيتين ليسا لابن عباس رضي الله عنه، وإنما هما لشاعر الرسول (حسان بن ثابت)، قالهما عندما فقد بصره. وقد ورد البيتان في ديوان « حسان بن ثابت الأنصاري » الذي شرحه المرحوم الأستاذ (عبد الرحمن البرقوقي) والذي نشره صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر، في صفحة ١٦٥

عبد الجواد سليمان
المدرس بمعلمات سوهاج

الهوجاء تصارعها والأمواج الثائرة تتقاذفها هنا وهنالك ... هاجت الريح فهاجت بنا المخاوف وأرعدت السماء فارتعدت الفرائص واضطربت القلوب بين الجوانح، وأشرفنا على الغرق واشتد الهول فزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، هنالك أقبلنا على الله منيبين إليه تائبين، وبسطنا أيدينا بالتوسل والدعاء، ولو أن أشد الناس عنادا وأضلهم إلحادا ركب البحر فجاءته ريح عاصف وأحاط به الموج من كل مكان وبدا له شبح الموت الرهيب يسعى إليه فى اللجة بين ريح عاصف ورعد قاصف وبرق خاطف وسحاب مركوم لانجابت الغشاوة عن بصيرته ولآمن لساعته ؛ ذلك بأن دواعى الإيمان تلح آنئذ بأمراض النفس الضالة كما تسقط أشعة الشمس على قطع الجليد. من هنا دعا الإسلام إلى الإيمان بالرحمة وبالخوف ، وناضل عن الحق بالبرهان وبالسيف ... ثم وقعت الواقعة وارتطمت السفينة واندفعت بها الأعاصير إلى صخرة عظيمة فتحطمت وتناثر فى اليم أشلاؤها وركابها جميعا .

... قال أبو إسحاق : تحطمت سفينتنا ولكن لم تتحطم ثقتنا بالله ورحمته ولطفه فتشبثنا بحطامها وجرفنا التيار الزاخر فجعلنا نغوص ونطفو والأمواج تتقاذفنا وقد غبنا عن الوجود حتى انتهينا إلى شاطئ لا ندرى أى شاطئ هو فوقعنا على البر ساجدين شكراً لله الذى نجانا من هاته المحنة الرهيبة ، فلما أصبحنا وجدنا أنفسنا بأرض كأنها واحدة من هاتيك السيارات الوعرة التى بخلت عليها الطبيعة بالحياة؛ فإذا رأيت ثم رأيت هضابا شامخة وكثبانا عريضة وصخورا متراكمة وصحراء قاحلة تتراءى حتى كأنها تلتقى بالسماء عند الأفق البعيد ، وكأن البحر قد اغتال متاعنا كما اغتال سفينتنا فانتشرنا فى هذه الأرض المجهولة باحثين عن شىء يمسك علينا رمق الحياة من صيد أو نبات، وذهب النهار وذهبت جهودنا أدراج الرياح وعدنا من حيث أتينا وقد أنهكنا التعب وألح علينا الجوع فقضينا على الطوى ليلة أخرى، وعند مطلع الفجر قمنا إلى الصلاة ثم تفرقنا فى جهات شتى بحثاً عن القوت حتى انقضى اليوم ولم نعثر على شىء فبتنا بليل أليم . فلما تنفس الصبح وصلينا الفجر لبثنا فى موضعنا منهوكين حيارى حتى قال قائل منا ما ينبغى لنا أن نستسلم للموت هكذا ولن نرزق ونحن ها هنا قعود يائسون ولكن يطلب الرزق بثلاثة : العمل والأمل والتوكل على الله، فانتشروا فى الأرض ينشر لكم ربكم من رحمته. وقال آخر تعالوا نجعل لله على أنفسنا شيئا إن هو خلصنا من هذه الشدة ؛ فنذر بعضنا صياما ونذر بعضنا صدقة . وقال آخر أصلى كذا وكذا ركعة ، ونذر بعضنا حجا إلى أن قال كل منا شيئا وبقيت أنا مطرقا لا أتكلم ، فقال أحدهم . مالك لا تجعل لله عليك نذرا فعساه يفرج ما بك فإنك حرى بأن تطلب الخير إن نويته وإلا فإنك لا تجنى من الشوك العنب؛ فقلت لله على أن لا آكل لحم فيل أبدا ، فتصايح رفاقى غاضبين وقالوا : أو تهزل فى مثل هذا الظرف العصيب ؟ قلت تالله ماالهزل أردت ولا قصدت بقولى مزاحا ولا دعابة ولكننى فكرت مليا فيما أدعه لله فما خطر ببالى ولا جرى على لسانى إلا هذا النذر العجيب . ولله وقع منى كما وقعنا نحن على هاته الأرض الغامضة لأمر يراد؛ فانظروا ماذا بعدها مما كتبته لنا الأقدار على صفحات الليل والنهار .

... قال وتفرقنا فى فجاج الأرض وتوغلنا فى مسالكها حتى مال ميزان النهار واصفر وجه الشمس وطفقت تطوى ذيولها الوردية عن الآكام والرمال حتى توارت بالحجاب . وعاد رفاقى تباطأ دون أن يجدوا شيئاً إلا وأحداً منا أبطأ فى العودة حتى ظننا أنه قد هلك فى أحشاء الصحراء من فرط التعب والإعياء . فارتمينا على الأرض منهوكين حيارى لا نكاد نقوى حتى على الكلام وإنا لكذلك إذا بصاحبنا الغائب مقبلا علينا يلهث ويرتعد مما به من التعب فألقى عن كاهله شيئاً وإذا هو ولد فيل صغير فاجتمع عليه رفاقى فاحتالوا فيه حتى ذبحوه وجعلوه سليخاً مشويا وأقبلوا ينهشون من لحمه إلا أنا فقد لزمت موضعى فقالوا تقدم وكل ولا عليك من نذرك السابق فإن لك فيه عذرا ... قلت إنى لأعلم أن الضرورات تبيح المحذورات ولكن قلبى يحدثنى أن من وراء هذا الاتفاق العجيب سرا فى ضمير القدر، وقد علمتم أنى تركت لحم الفيل منذ ساعة تقرباً إلى الله وما كنت لأرجع فى شىء تركته له. ومن يدرى . فقد يكون هذا الذى جرى على لسانى وأنكرتموه منى إنما هو لحضور أجلى من دونكم لأنى ما أكلت شيئاً منذ أيام وما أطمع فى شىء آخر وما يرانى الله أنقض عهده ولو مت وإنى لمؤمن بالقدر راض بتصاريفه مهما تراءت الآن عجيبة قاسية فصبر جميل حتى يبلغ الكتاب أجله . . واعتزلتهم

وأكلوا حتى فرغوا وسرعان ما غشيهم النوم فراحوا فى سبات عميق وارتفع غطيطهم وبقيت وحدى ساهراً أتململ مما فى أحشائى من آلام الجوع وهبهات يأوى النوم إلى عين استبد بها الخوف أو برح بها الألم أو ألح عليها الجوع القاسى ؛ فذهبت أتشاغل بالإنصات إلى صفير الرياح فى الصحراء وهدير الموج فى البحر الخضم وأتأمل البدر المتألق فى صدر السماء العارى وهو يرسل أشعته الفضية على الرمال والآكام ويشق طريقه بين النجوم متثاقلا واجماً كأنه يرثى لحالى التعسة وقد ساد السكون وخيم الليل الموحش على المكان فتولانى خشوع عميق شغلنى بعض الوقت عما أعانيه من الحيرة والألم .

قال أبو إسحاق وفى جوف الليل الصامت وسكون السحر الرهيب ترامى إلى سمعى صياح بعيد جعل يقترب ويرتفع فى الفضاء سريعاً وإذا أنا بفيل ضخم أقبل يقتفى أثر ولده حتى وقف علينا وعاين أشلاء ولده الذبيح فصاح صيحة نكراء أفزعت رفاق من سباتهم بيد أنهم لم يستطيعوا النهوض أو الفرار مما أخذهم من الفزع والذهول؛ فأقبل عليهم الفيل وجعل يمد خرطومه إلى الواحد منهم فيشمه فإذا وجد منه ريح لحم ولده رفع رجله فوضعها عليه وتحامل حتى يهشم أضلاعه فيقتله ثم يميل إلى صاحبه فيفعل به كذلك وقد انطرح القوم على الأرض وذهبوا يرددون الشهادة التى هى آخر الزاد من الدنيا . ورحت أنظر الفيل وهو يبطش برفاق واحداً واحداً وقد جمد الدم فى عروق وانعقد من الروع لسانى وخارت قواى ونضح جسدى بالعرق البارد وطارت نفسى شعاعاً فرحت أتمتم بالاستغفار والشهادة التى أشرقت بها روحى المودعة حتى انتهى إلى الفيل فمد خرطومه إلى فى فانخلع قلبى ووجدت ريح الموت من أنفاسه فشم كل مكان فى جسدى من رأسى إلى أخمص قدمى ثم رفع خرطومه وصاح صياحاً منكراً خلت أنه زلزل الصحراء ثم أقبل على ثانياً يقلبنى ظهراً لبطن ويشمنى هنا وهناك وقد غبت عن الوجود . . . وأخيراً لف على خرطومه فرفعنى فى الهواء فقلت حضر الأجل ولكنه وضعنى على ظهره ثم انكفأ راجعاً فجهدت أن أثبت مكانى وانطلق بى الفيل يشتد عدواً فتارة يصعد بى فى الهضاب وتارة ينحدر بى فى الأودية ويسعى فى الدروب الملتوية ويقتحم الأحراج والأدغال الكثيفة والليل الحالك مخيم على الوجود وصفير الرياح يقرع أذنى فى جوف الغابة الحالكة كأنه هزيف المردة التى تريد أن تتخطفنى من كل مكان؛ وكان الفيل يهدأ أحياناً فيساورنى الأمل الضئيل فى النجاة ثم يشتد عدوه فأتوقع أنه سيثور بى فيقتلنى فأعاود الاستغفار والتشهد .

. . . قال وانتهى الفيل إلى أرض عريضة وكان الفجر قد أطل على الدنيا ونشر أشعته الفضية الحالمة فاستبانت لى طريق تشق المزارع الخضراء إلى حيث لا أدرى ؛ فدنا منها الفيل فرفعنى عن ظهره فقلت إنا لله جاء الموت ؛ بيد أنه أقامنى على الطريق ثم ولى مدبراً . واتخذ سبيله فى الأرض هرباً فما عدت إلى صوابى إلا حين برزت الغزالة من خدرها وأضاءت المكان بنورها الذهبى الجميل فانبعثت أعدو فى الطريق وأنا لا أصدق بالخلاص حتى بلغت قرية آويت إليها فعجب منى أهلوها وسألونى عن أمرى فقصصت عليهم ما كان فزعموا أن الفيل سار بى فى هذه الليلة مسيرة أيام واستطرفوا سلامتى فلبثت فيهم أياماً حتى صلحت حالى من تلك الشدائد ، وتندى بدنى وعادت نفسى سيرتها الأولى . ثم خرجت فى نفر من التجار إلى بلد على شاطىء البحر فركبته وأقلعت بنا الفلك فى يوم طيب، ورزقنى الله السلامة إلى أن عدت إلى بلدى وبقيت نفسى مليئة بهذه الذكريات الحزينة . ما عشت فلن أنسى أولئك الرفاق البررة الذين طالما طوفت معهم فى الآفاق حتى ألقرا عصا التسيار، وأطبقوا جفونهم إلى الأبد على الشاطىء المجهول.

أحمد شاهين

إدارة البلديات العامة

الميكانيكا والكهرباء

تقبل العطاءات بادارة البلديات العامة (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ٢٠ ـ ١٢ ـ ١٩٥٠ عن عملية توريد وتركيب مجموعة كهربائية قوة ١٨٠ حصانا مع ملحقاتها لتوسيع محطة كهرباء مليا القمح

وتطلب الشروط والمواصفات من الادارة على ورقة تمغة فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ ٣ جنيه خلاف أجرة البريد وكل عطاء غير مصحوب بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ لا يلتفت اليه ٦٤٥٧

سكك حديد الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور بأن جداول مواعيد القطارات لفصل الشتاء قد أعدت للتوزيع ويعمل بها ابتداء من أول نوفمبر سنة ١٩٥٠ وقد راعت المصلحة عند إعدادها تحقيق رغبات الجمهور كما يتبين من التحسينات المبينة بعد : —

١) إعادة تسيير القطار السريع بين مصر والأقصر .

٢) استمرار تسيير القطارات السريعة بين مصر والأسكندرية .

٣) تسيير قطار اكسبريس بين مصر وطنطا ليؤدى خدمة سياحية ومسائية لهذه المنطقة .

٤) تعديل مواعيد قيام بعض القطارات بما يتفق وفصل الشتاء .

٥) يشتمل الجدول على خريطة إيضاحية تبين خطوط السكك الحديدية ومحطاتها .

وتطلب هذه الجداول من شبابيك تذاكر المحطات وكذا من الباعة المرخص لهم ببيعها مقابل عشرين مليما للنسخة الواحدة.

سير عبد الواحد

مطبعة الرسالة